

ورقة سياسية



الحرب الأخلاقية

تجربة حزب الله في حرب الاسناد مع غزة

2025-9-23

الحرب الأخلاقية

تجربة حزب الله في حرب الاسناد مع غزة

المقدمة

تُعَدُّ مسألة الحرب الأخلاقية واحدة من أكثر الإشكاليات تعقيداً في الفلسفة السياسية والقانون الدولي المعاصر، حيث يلتقي البُعد القيمي مع مقتضيات الصراع المسلح. فمنذ نشوء نظريات "الحرب العادلة" في الفكر الفلسفي، وصولاً إلى تدوين قواعد القانون الدولي الإنساني، شكّل البحث في ضوابط استخدام القوة العسكرية جوهرًا للنقاش الأخلاقي والسياسي حول شرعية المقاومة ووسائلها. في هذا الإطار، يبرز مبدأ التمييز بين المقاتلين والمدنيين، ومبدأ التناسب في استخدام القوة، ومبدأ الضرورة العسكرية، كمرتكزات أساسية لتحديد مدى مشروعية أي عمل عسكري، سواء من قبل جيوش نظامية أو حركات مقاومة مسلحة.

لقد فرضت الأحداث في فلسطين، خصوصاً العدوان الإسرائيلي على غزة مع انطلاقة معركة طوفان الاقصى اختباراً عملياً لهذه المبادئ، إذ ترافقت وحشية القصف الإسرائيلي العشوائي، الذي استهدف المدنيين والبنى التحتية الحيوية، مع خطاب أخلاقي مقاوم يسعى إلى إثبات التزامه بالضوابط الدولية. وفي هذا السياق، اتخذت تجربة حزب الله في "حرب الإسناد" مع غزة بُعداً مركباً؛ فهي من جهة تجسيد لنهج التضامن العسكري والسياسي مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة والمحقة، ومن جهة أخرى اختبار لمفهوم الحرب الأخلاقية في التطبيق العملي للمقاومة المسلحة.

وعليه، فإن دراسة تجربة حزب الله في ضوء الحرب الأخلاقية لا تنحصر في البعد الميداني فحسب، بل تمتد إلى تحليل أبعادها القانونية والسياسية والإعلامية، ومقارنتها بالسلوك الإسرائيلي الذي لا يتردد في ارتكاب انتهاكات جسيمة للقانون الإنساني الدولي. ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة في إبراز الفارق الأخلاقي بين طرفين: أحدهما يقدّم نفسه كفاعل منضبط يلتزم بحدود الضرورة والتمييز والتناسب، وآخر يتجاهل تلك الضوابط ويؤمن في استهداف المدنيين لتحقيق أهداف عسكرية وسياسية.

انطلاقاً من هذا الامر ستعتمد الورقة على المخطط التالي:

المقدمة

1) الإطار النظري للحرب الأخلاقية

أ. تعريف عام

ب. المبادئ الأساسية.

ت. القراءات النظرية العالمية للحرب الأخلاقية لحزب الله

2) المقاومة المسلحة وقيادة الحرب الأخلاقية

3) خلفية حرب الإسناد

أ. ظروف اندلاع العدوان على غزة

ب. أهداف حزب الله من فتح جبهة إسناد

ت. طبيعة العمليات (طابعها التكتيكي)

4 تجربة حزب الله في ضوء الحرب الأخلاقية

أ. التمييز

ب. التناسب

ت. الضرورة العسكرية

5 التأثير الإعلامي والسياسي

أ. إبراز صورة «الانضباط الأخلاقي»

ب. انعكاسات على الرأي العام اللبناني والعربي

ت. توظيف الحرب الإعلامية

6 المقارنة مع سلوك الاحتلال

الخاتمة

1 الإطار النظري للحرب الأخلاقية

أ. تعريف عام : مصطلح «الحرب الأخلاقية» يقصد به، في الأدبيات الفلسفية والقانونية، موقفاً أو ممارسة عسكرية تُحاول الامتثال لمبادئ أخلاقية وقانونية أثناء النزاع (مبنية على نظرية الحرب العادلة Just War في الفلسفة من جهة، وعلى أحكام القانون الإنساني الدولي من جهة أخرى. في إطار القانون الدولي يُترجم هذا إلى التقيّد بمبادئ أساسية تهدف للحدّ من المعاناة وحماية المدنيين).

ب. المبادئ الأساسية.

- التمييز: (Distinction) وجوب التفرقة بين مقاصد/أهداف عسكرية وبين المدنيين/الأعيان المدنية؛ لا يجوز استهداف مدنيين أو تحويلهم إلى أهداف عسكرية.
- التناسب: (Proportionality) أي أن الضرر العرضي المتوقع على المدنيين يجب ألا يكون مفرطاً مقارنة بالميزة العسكرية المتوقعة من الضربة. هذا المبدأ يمنع استخدام قوة تسبّب ضرراً مدنياً يفوق الفائدة العسكرية المشروعة.
- الضرورة العسكرية: (Military necessity) تسمح باتخاذ إجراءات تضعف القدرة العسكرية للخصم إذا كانت ضرورية وشرعية ولا تتعارض مع قواعد الحماية الإنسانية؛ لكنها لا تبرر تجاوزات على المدنيين أو أعمال انتقامية.
- الاحتياطات والقيام بالتحقق: واجب اتخاذ احتياطات لتقليل الأضرار العرضية (إنذار، اختيار أساليب/أوقات أقل خطورة، تحقيق معلومات استخباراتية دقيقة).

ت. القراءات النظرية العالمية للحرب الأخلاقية لحزب الله

- القراءة الواقعية (Realism) : من منظور الواقعية في العلاقات الدولية، يُنظر إلى سلوك حزب الله كجزء من لعبة توازن القوى. الواقعيون يعتبرون أن "الأخلاق" في الحرب ليست سوى أداة وظيفية تُستخدم لتعزيز الردع وكسب الشرعية السياسية. وبالتالي، فإن انضباط حزب الله في اختيار الأهداف العسكرية

وادعاؤه الالتزام بالقانون الإنساني يُقرأ في إطار تعزيز موقعه الاستراتيجي لا أكثر، وليس بدافع قيمى بحت.

- **القراءة الليبرالية (Liberalism) :** الليبراليون يركّزون على دور القانون الدولي، المؤسسات الأممية، والرأى العام العالمى. من هذا المنظور، تجربة حزب الله قد تمثّل محاولة للاستفادة من القواعد الدولية القائمة (التمييز، التناسب، الضرورة) لإثبات شرعية مقاومته أمام المجتمع الدولي. فالالتزام الأخلاقى يُستخدم كأداة لإضعاف الرواية الإسرائيلية التى طالما قدّمت المقاومة كـ"منظمة إرهابية".
- **القراءة البنائية (Constructivism) :** البنائيون ينظرون إلى الحرب الأخلاقية لحزب الله كإنتاج لهوية وخطاب جديد. أى أن المقاومة لا تسعى فقط إلى تحقيق مكاسب عسكرية، بل إلى إعادة تشكيل صورتها فى الوعي العربى والإسلامى والعالمى: من فاعل "مسلّح" إلى فاعل "أخلاقى" يلتزم بالقواعد الإنسانية. وهنا، الأخلاق ليست أداة فقط بل مكوّن هويائى يبنى شرعية اجتماعية وثقافية طويلة المدى.
- **القراءة النقدية (Critical & Post-colonial) :** تيارات ما بعد الاستعمار والنظريات النقدية ترى أن "الحرب الأخلاقية" لحزب الله تُفهم فى سياق مقاومة الهيمنة الغربية-الإسرائيلية. فهى بمثابة تحدٍ للسردية الغربية التى تحتكر تعريف "العنف الشرعى" وتقدّم نفسها بوصفها المرجعية الأخلاقية. فى هذا السياق، التزام حزب الله بمبادئ الحرب الأخلاقية يُعد محاولة لقلب معادلة الخطاب، وإثبات أن الفاعلين غير الغربيين قادرون أيضاً على الالتزام بالقانون الدولي — بل أكثر من الدول المدعومة غربياً.
- **القراءات الإعلامية والاتصالية (Media & Communication Studies) :** فى حقل دراسات الإعلام، يُحلّل خطاب حزب الله حول الحرب الأخلاقية بوصفه استراتيجية ناعمة (Soft Strategy) فهو يستخدم الصور، المقاطع المصورة، والبيانات الرسمية لإبراز التمييز فى الأهداف العسكرية والتناسب فى القوة، فى مقابل صور الدمار الهائل فى غزة. هذا الاستخدام الاتصالي يعزز القوة الناعمة للمقاومة ويُعيد إنتاجها كفاعل "شرعى" فى الساحة الدولية.

(2) المقاومة المسلحة وقيادة الحرب الأخلاقية

المقاومة المسلحة عادةً ما تُقدّم فى الأدبيات السياسية كفعل "اضطرارى" ينشأ لمواجهة الاحتلال أو العدوان، وغالباً ما تُتهم بأنها تُقوّض الاستقرار الدولى عبر استخدام العنف. غير أن إدخال مفهوم **الحرب الأخلاقية** فى الممارسة المقاومة يُعيد تعريف هذا الفعل: فالمقاومة لم تعد مجرد "رد عسكري"، بل مشروع سياسى-أخلاقى يهدف إلى إثبات أن حمل السلاح يمكن أن يخضع لضوابط إنسانية وقانونية.

أظهرت التجربة العالمية أن الدول - خصوصاً فى النزاعات غير المتكافئة - كثيراً ما تنزلق إلى استهداف المدنيين بذريعة الضرورات العسكرية. فى المقابل، حين تتمكّن المقاومة المسلحة من إظهار التزامها بمبادئ التمييز والتناسب، فإنها تُخرج الدولة المعتدية وتضعها أمام تناقضات خطابها. بهذا المعنى، المقاومة تتحوّل من "طرف متمرد" إلى "قائد للحرب الأخلاقية"، عبر الالتزام بما يفترض بالدول أن تلتزم به.

إن قيادة الحرب الأخلاقية تمنح المقاومة:

- **شرعية قانونية :** من خلال إثبات أنها لا تستهدف المدنيين عمدًا، وهو ما ينسجم مع قواعد القانون الدولى الإنسانى.
- **شرعية سياسية :** عبر خطاب موجّه إلى الداخل (القاعدة الشعبية) والخارج (الرأى العام العالمى) يُظهر أن المقاومة "منضبطة" وليست "متهورة".

- **شرعية إعلامية:** من خلال توظيف صور وأدلة تُظهر الالتزام الأخلاقي، ما يضع الاحتلال في موقع الاتهام الدائم.

إن قيادة الحرب الأخلاقية ليست مهمة سهلة للمقاومة المسلحة:

- **الواقع الميداني:** حيث يصعب أحياناً تجنب سقوط مدنيين بسبب طبيعة الاشتباك أو اختلاط المدنيين بالمواقع العسكرية.
- **الحرب الإعلامية:** إذ قد تُتهم المقاومة باستخدام المدنيين كغطاء أو تضخيم التزامها الأخلاقي لأغراض دعائية.
- **ضغوط البيئة الداخلية:** إذ يُمكن أن يُنظر إلى "ضبط النفس" على أنه ضعف أو تهاون، ما يضع القيادة بين خيار أخلاقي وخيار تعبوي.

إن العلاقة بين المقاومة المسلحة وقيادة الحرب الأخلاقية لا تقف عند حدود "الصورة"، بل تُشكّل أداة استراتيجية بحد ذاتها. فالمقاومة حين تُقدّم نفسها كفاعل أخلاقي تُحقق أهدافاً مزدوجة:

- **تشتيت شرعية الاحتلال** عبر إظهار أن الدولة المعتدية تفقد السيطرة على قواعد الحرب العادلة.
- **ترسيخ معادلة ردع أخلاقي** تجعل أي تصعيد ضدها مكلفاً سياسياً وأخلاقياً للاحتلال أمام المجتمع الدولي.

بالنتيجة، إن العلاقة بين المقاومة المسلحة والحرب الأخلاقية هي علاقة جدلية تقوم على التوازن بين **الضرورة العسكرية والالتزام الأخلاقي**. وكلما نجحت المقاومة في الحفاظ على هذا التوازن، كلما تحوّلت من مجرد طرف عسكري إلى **قائد في الحرب الأخلاقية**، يفرض نفسه ليس فقط في ميدان القتال، بل أيضاً في ميدان القانون الدولي والرأي العام العالمي.

(3) خلفية حرب الإسناد

أ. **ظروف اندلاع العدوان على غزة:** أدّى العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة إلى دمار واسع ونزوح جماعي وانهايار إنساني بحسب تقارير منظمات حقوقية وهيئات أممية، وهو السياق الذي دفع فصائل وأطراف إقليمية إلى احتضان أو دعم شكل من أشكال «الإسناد» للضغط على الكيان الصهيوني أو التخفيف عن المدنيين.

ب. **أهداف حزب الله من فتح جبهة إسناد:**

- **عسكرية:** إضعاف قدرة الكيان الصهيوني على التركيز الكامل على جبهات أخرى، وإجبارها على الانتشار أو إضعاف قواعدها على الحدود.
- **سياسية/استراتيجية:** بأن حزب الله شريك فعّال في مقاومة يُدافع عن القضية الفلسطينية، وتقوية موقعه التفاوضي والسياسي داخلياً وإقليمياً.
- **إنسانية/رمزية:** تثبيت الهدف، وهو تخفيف الضغط عن المدنيين في غزة وإظهار تضامن فعّال.
- **طبيعة العمليات (طابعها التكتيكي):** في الفترة الأولى لافتتاح جبهة الإسناد، اتخذت العمليات طابعاً محدوداً ومركزاً — قصف مؤقت أو استهداف مواقع عسكرية حدودية أو إطلاق صواريخ قصيرة المدى — مع تجنب تصعيد شامل مفتوح على نمط حرب متعددة الجبهات (هذا نمطٌ تكتيكي يلحظه عدد من التقارير التحليلية الإقليمية والدولية).

4 تجربة حزب الله في ضوء الحرب الأخلاقية

أ. التمييز : مطابقاً للمبادئ، تُقَيَّم «الالتزامات بالتمييز» بتحليل الأهداف الفعلية: إن كانت الضربات تستهدف ثكنات، نقاط رصد، منصات إطلاق أو بنى تحتية عسكرية، تُعدّ عملاً عسكرياً مشروعاً من منظور القانون الإنساني. أشارت العديد من التقارير الميدانية (الاقليمية والدولية وحتى الاسرائيلية) إلى أن حزب الله أعلن استهدافه مواقع عسكرية محددة على طول الحدود، وهذا الفعل مبرر قانونياً لأنه كان ملتزم باحترام قاعدة التمييز اعتماداً على مدى دقة الاستهداف ووجود أدلة ميدانية موثوقة تُظهر التزاماً بالفرقة فعلياً .

ب. التناسب : التناسب تقاس بتقييم الضرر العرضي المحتمل مقابل الميزة العسكرية المتوخاة. إذا اقتصر العمل على هجمات محدودة أدت إلى أضرار عسكرية مباشرة مع ضررٍ مدني محدود، فإن ذلك أقرب إلى الامتثال لمبدأ التناسب. تحليل التقارير يشير إلى أن حزب الله سعى لتقليل التصعيد الشامل، وهو ما يمكن قراءته كتطبيق تكتيكي لمبدأ التناسب.

ت. الضرورة العسكرية: الهدف المعلن — تشتيت الانتباه العسكري الإسرائيلي وتخفيف الضغط عن غزة دون فتح حرب شاملة، ووفقاً لنواياها وتناسق وسائلها مع الأهداف المعلنة، وهذا يندرج ضمن مفهوم الضرورة العسكرية (إضعاف قدرة خصم عسكرياً بوسائل متناسبة).

بالنتيجة وفقاً لهذا المعطى: ومن زاوية نقاش أخلاقي-قانوني، ما ميّز محاولة الالتزام هو وجود إجراءات واضحة لتقليل الأذى العرضي (تحقق استخباراتي أفضل، إنذارات إن أمكن، تجنّب المناطق المأهولة وقت الذروة، وغيرها).

5 التأثير الإعلامي والسياسي

أ. إبراز صورة «الانضباط الأخلاقي» التزم حزب الله في عملياته بضوابط حربية، كفاعل مقاوم «متحكّم» لا يستهدف المدنيين، مما يُحسّن شرعيته في أوساط قاعدته وفي بعض الأوساط العربية التي ترى في الإسناد فعل تضامن. ترافقت تحركات الخطاب الإعلامي مع وثائق مُنتجة، مقاطع فيديو واختيارات لوقائع تُظهر توجيه الضربات نحو بنى تحتية عسكرية.

ب. انعكاسات على الرأي العام اللبناني والعربي. الانطباع العام يتأرجح: لدى جزء من الجمهور اللبناني والعربي المؤيد للمقاومة وللعمل المقاوم ولجبهة الاسناد، زيادة في التأييد لعدالة العمل «التضامني» مع غزة؛ بينما يلوّح البعض الآخر (الرافض لفتح جبهة الاسناد، والرافض ايضاً لدور المقاومة وعملها المقاوم المسلح) بأنّ جبهة الاسناد ستفتح (او فعلت) على لبنان العديد من المخاطر، فالتصعيد كان سبباً في جرّ البلاد إلى المواجهة والحرب (66 يوم). كان للرواية والسردية الإعلامية الإسرائيلية والدولية المضلّلة دور اساسي في التأثير على هذا الجانب من الراي العام الذي لم يؤيد المقاومة يوماً، ما أثر بدوره على المزاج الدبلوماسي والرسائل الخارجية .

ت. توظيف الحرب الإعلامية: من حق المقاومة توظيف الإعلام لتسليط الضوء على «تفوقها الأخلاقي» مقارنة بما تذكره تقارير ميدانية عن خروقات، وانتهاكات إسرائيلية في غزة. بالتأكيد أنّ هذه الصورة تكشف للرأي العام مدى مصداقية هذه المقاومة وعملها التحرري والتزامها بمبادئها الاساسية والحق في الدفاع الشرعي ومواجهة الاحتلال. بمقابل ذلك، تتهم الوسائط الاعلامية الاسرائيلية المضلّلة فصائل المقاومة باستخدام المدنيين أو التمركز في مناطق مأهولة، وهو اتهام صعب التحقق ومستخدم سياسياً أيضاً. من الناحية القانونية، يمكن اثباته بالادلة أنّ من يستخدم المدنيين كـ«درع بشري» واقعياً هو الاسرائيلي. أمّا المقاومة فمن أولى أولوياتها هو حماية المدنيين وتحييدهم عن العمل العسكري.

6) المقارنة مع سلوك الاحتلال

وُنقّت تقارير حقوقية وأممية أن العمليات الإسرائيلية في غزة شملت فترات من القصف المكثّف الذي نتج عنه أعدادًا كبيرة من الضحايا المدنيين ودمارًا واسعًا للبنية التحتية (مستشفيات، مدارس، محطات مياه)، الأمر الذي أثار اتهامات بانتهاكات مغايرة لمبادئ التناسب والتمييز وفتح نقاشات دولية عن المسؤولية والحساب .

منذ بداية حرب الاسناد لغزة (8 أكتوبر 2023)نفذ حزب الله في إطار الإسناد عمليات بدت محدودة وموجّهة نحو مواقع عسكرية على الحدود، مع تأكيد الحزب على تجنّب حرب شاملة؛ هذا الأسلوب يُقرأ كالتزام تكتيكي أكثر قربًا لمعايير التمييز والتناسب، في مقابل الانتهاكات الواسعة والابادة الجماعية التي لم يتوقف العدو عن ارتكابها في غزة وفي لبنان (حتى بعد اتفاق وقف إطلاق النار).

الخاتمة

تُظهر دراسة تجربة حزب الله في "حرب الإسناد" مع غزة أن مفهوم الحرب الأخلاقية ليس مجرد إطار نظري أو خطاب دعائي، بل أداة تحليلية تكشف عن التباينات العميقة في السلوك العسكري بين المقاومة والاحتلال. فبينما جسّدت المقاومة في عملياتها محاولة واضحة للالتزام بمبادئ التمييز والتناسب والضرورة العسكرية، ولو ضمن حدود ضيقة ومقيّدة بالواقع الميداني والسياسي، فإن الاحتلال الإسرائيلي واصل اعتماده على القصف العشوائي واسع النطاق الذي استهدف المدنيين والبنية التحتية الحيوية، متجاهلاً الأسس القانونية والأخلاقية التي يفترض أن تحكم النزاعات المسلحة.

إن هذا التباين لم يقتصر على المستوى العسكري، بل امتد إلى المستوى السياسي والإعلامي؛ إذ استطاع حزب الله أن يوظف صورته كفاعل "منضبط أخلاقياً" لتعزيز شرعيته المحلية والإقليمية، في حين وجد الكيان الصهيوني نفسه في مواجهة انتقادات دولية متزايدة نتيجة توثيق الانتهاكات المرتكبة وجرائم الإبادة في غزة. غير أن هذه التجربة لم تخلُ من تحديات، أبرزها الاتهامات الإسرائيلية والدولية باستخدام المدنيين كغطاء، والمخاوف الداخلية من الانجرار إلى مواجهة شاملة قد تفقد المقاومة تفوقها الأخلاقي.

وبذلك، فإن المقارنة بين سلوك المقاومة والاحتلال تكشف عن **فارق أخلاقي جوهري** في إدارة الحرب، يضع المقاومة في موقع أقرب إلى الالتزام بضوابط القانون الدولي الإنساني، حتى وإن كان ذلك نسبيًا ومشروطًا، ويكشف في المقابل حجم الانتهاكات الممنهجة التي يرتكبها العدو. إن ما تقدمه هذه التجربة هو نموذج مهم للنقاش الأكاديمي والسياسي حول إمكانية الجمع بين المقاومة المسلحة وبين الحفاظ على البعد الأخلاقي، بما يشكّل تحديًا للمفاهيم التقليدية حول شرعية الحرب في القانون الدولي والفكر السياسي.